جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

دكتوراه اسلامي

المجابهة الاسلامية للحروب الصليبية

(موقعة حطين الكبرى (٥٨٣هـ – ١١٨٧م)

أ.د. حنان عبد الرحمن طه

موقعة حطين الكبرى (٥٨٣هـ – ١١٨٧م)

لا شك أن الخطوة المنطقية التي يجب أن يتبعها صلاح الدين هي القيام بهجوم إسلامي شامل على مملكة بيت المقدس التابعة للصليبيين، خاصة بعد الأعمال العنيفة التي فعلها أرباط صاحب حصن الكرك الذى يشرف على طريق التجارة والحج بين مصر والشام والحجاز، هذا هو ما ذكره المؤرخون عن دوافع هذا الهجوم على الصليبيين وإن كان من المعروف أن حادثة «أرناطه لا تعدو أن تكون السبب المباشر فقط، وأن صلاح الدين، لم يقم بهذا العمل الهجومي إلا بعد أن استكمل استعداداته الحربية والبحرية كما رأينا.

أعلن صلاح الدين حركة الجهاد وتزعمها ضد الصليبيين فرأى أن يتجنب تجمعات الصليبيين بالساحل فى صفورية قرب عكا، وهاجم الصليبيين بالقرب صفورية وانتصر عليهم) ولم يمض وقت قليل حتى تمكن من الاستيلاء على طبرية حتى يجبر الصليبيين على الخروج من صفورية مركز تجمعهم، واستولى على طبرية ٥٨٣ في ١١٨٧م، غير أن أمراء الصليبيين اجتمعوا في عكا وقرروا الزحف من صفورية إلى خيرية، وفرح صلاح الدين، عندما تحرك الصليبيون إلى طبرية، ثم عسكر غربي طبرية وبالتحديد عند قرون حطين الغنية بالمراعي والماء حتى ينعم هو وجنوده بالظل والماء الوفير عند بحيرة طبرية والأردن، بينما كان على الصليبيين أن يسلكوا بدروعهم الحديدية الثقيلة طريقا وهرًا لا ماء فيه في وقت اشتدت فيه حرارة الشمس في شهر يوليو، ووصلوا منهكين متعبين عند تل حطين وطلعوا إلى تل حطين والنار تضرم حولهم فهلكوا وتساقطوا من التل، وانتهز صلاح الدين الفرصة عندما حل ظلام الليل وأحاط بالجيش الصليبي ثم دار القتال بين الفريقين، وانتصر المسلمون انتصارا عظيم بعد أن كبدوا الصليبيين خسائر فادحة في الأرواح، والمعدات، وأسر المسلمون الملك حاى لوزجنان»، والبرنس أرناط» صاحب الكرك) ولم ينج إلا القومص ريموند» كونت طرابلس الذي هرب إلى مدينة صور ، وبعد أن رأى صلاح الدين الأسرى قتل «أرناط» بيده ؛ لأنه كان قد أقسم على قتله لمحاولته الاعتداء على المدينة المنورة وقبر الرسول . كانت واقعة حطين كارثة عظيمة

على الصليبيين؛ لأنهم خسروا فيها خسائر فادحة منها زهرة شبابهم وفرسانهم وعلق المؤرخ ابن الأثير على هذه الواقعة يقوله وكان من يرى لقتل يحسب أن ليس هناك أسرى، ومن يرى الأسرى يحسب أن ليس هناك قتلى، بعد ذلك اتجه صلاح الدين إلى الاستيلاء على المدن الساحلية التي تربط الصليبيين بموطنهم في غرب أوروبا، فيحصرهم في داخل الشام، فضلاً عن أن احتلاله للمدن الساحلية سوف يسهل عليه الاتصال البحرى السريع بين شطري دولته في مصر والشام .

استولى صلاح الدين على عكا ويافار وصيدا وبيروت وجبل، وحيفا وعسقلان وغزة، ولم تستعص عليه سوى مدينة صور الحصينة المنيعة في أسوارها وأبراجها، بعد ذلك رأى صلاح الدين أن يتجه إلى الداخل نحو مدينة بيت المقدس، فعرض على أهلها تسليم المدينة على أن يؤمنهم على أرواحهم ونسائهم وأولادهم، ولكن أهل بيت المقدس رفضوا ذلك العرض)، فأقسم صلاح الدين على أن يفتح بيت المقدس بحد السيف) وتطهير أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله من الوجود الصليبي، فتقدمت جموع المسلمين للتطوع والجهاد من أجل طرد الصليبيين، وتزعم حركة المقاومة ضد الصليبيين " وباليان بن بيرزان) صاحب الرملة وبعد حصار مدينة القدس (بيت المقدس) وشدة بأس المسلمين، اتفق الصليبيون على إرسال جماعة من أمرائهم وأعيانهم في طلب الأمان وتسليم القدس بشرط احترام من بالمدينة من الصليبيين والسماح لمن يشاء بمغادرتها، وفى ذلك يقول العماد الأصفهاني: «طار الخبر إلى القدس، فطارت قلوب من بها رعبا وطاقت وحققت أفئدتهم خوفًا من جيش الإسلام وجاشت، وثمنت الفرنج لما شاعت الأخبار أنها ما عاشت... وضاقت بالقوم منازهم فكأن كل دار منها شرك للمشرك وقاموا بالتدبير فى مقام الإدبار، وتقسيت أفكار الكفار ، وأبس الفرنج من الفرج وأجمعوا على بذل المهج ، وكانت هذه الشروط نفسها هي التي سبق أن عرضها صلاح الدين، على أهل بيت المقدس، ورفضوها ، هكذا دخل صلاح الدين مدينة بيت المقدس" في ليلة الإسراء ر ٢٢ رجب سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، واستولى عليها استيلاء كاملا) ، وكانت معاملته للأسرى

الفرنج معاملة يملؤها التسامح والكرم. بعد ذلك الجه صلاح الدين، بعد فتح القدس إلى فتح الحصون الباقية، فاستولى على الشوبك والكرك وقلعة كوكب والشقيف وصهيون ثم سقطت عقلان وعكا وصفد وطرطوس وجبلة واللاذقية، ولم يبق في يد الفرنج سوى صور وهي المدينة الوحيدة الباقية من مملكة بيت المقدس الصليبية وطرابلس التي لم يبق منها سوى عاصمتها طرابلس وقلعة أنطرسوس وحصن الأكراد وبعض المراكز الأخرى الثانوية وأنطاكية التي لم يبق من المناطق التابعة لهما سوى عاصمتها وميناء السويدية وحصن المرقب

:الحملة الصليبية الرابعة

دعا البابا أنوسنت الثالث (٥٨٥هـ / ١١٩٨م – ٦١٣ هـ / ١٢٢٦م) الغرب الأوروبي إلى القيام بحملة صليبية رابعة لاسترداد بيت المقدس، وما شجع الأوروبيين على تلك الحملة النزاع الذي حدث بين أبناء صلاح الدين حول تقسيم الدولة الأيوبية ، لكن هذه الحملة سرعان ما اخفقت لأنها اتخذت القسطنطينية طريقا لها بدلاً من النزول في مصر للسيطرة عليها، وتسببت الحملة في إضعاف الصليبيين في الوقت الذي كانت فيه قوة الإسلام في تزايد .

اكتشف الصليبيين أن سر فشل الحملة الصليبية الثانية و الثالثة هو مصر كونها العمق الاستراتيجي والتعبوي للمسلمين في بلاد الشام ومصر نفسها لما تمتلكه من امكانات مادية وبشرية , كما ان ريتشارد أثناء عودته الى اوربا قدم نصيحة للكنيسة والأمراء والملوك في اوربا انكم اذا رجعتم للسيطرة على بلاد الشام لابد وان يكون الطريق عبر القاهرة, وهذا ما فعله الأوربيون الذين بدا الكثير منهم الانضمام لتلك الحملة واثناء التوجه حدث ما لم يكن في الحسبان وهو ان الامبراطور البيزنطي الأكسس كومين الثالث قد قامت ثورة ضده فاستعان بالصليبيين لاستعادة عرشه فاستجاب الصليبيون له وتمكنوا من السيطرة على القسطنطينية, ثم قاموا بإعمال النهب والسلب والقتل وبذلك لم يبقى للعامل الديني اهمية في هذه الحملة؛ لانهم

ارتكبوا المذبحة ضد اخوانهم النصارى وبمباركة البابا انوست الثالث وذلك لكي تخضع روما لهم . وهو ما حصل

لكنهم واجهوا بعض الصعوبات ففي اللحظة التي كان يستعد فيها الصليبيون للإبحار تجاه مصر؛ إذا بثورة داخلية تنشب في القسطنطينية "إسطنبول" التي كان يحكمها البيزنطيون آنذاك انتهت بخلع الإمبراطور إسحاق الثاني وفرار ابنه ألكسيوس إلى الغرب طالبا المساعدة من البابوية وجموع الصليبيين على عمه المغتصب للعرش، وكان الثمن الذي عرضه ألكسيوس مغريا؛ فقد عرض أن تخضع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية إلى البابوية في روما، فضلا عن مساعدة الصليبيين في حملتهم ضد مصر، وبالفعل وافق البابا والصليبيون على هذا العرض المغري.

وحسب قراءات تاريخية أخرى فقد وافق الصليبيون لأسباب أخرى أيضا، تمثلت في العداء القديم بين الكنيستين الغربية والشرقية، والخلاف السياسي منذ بدء الحروب والحملات الصليبية التي كانت تمر في أراضي الدولة البيزنطية التي كانت تتوجس من هذه الحملات، بل عملت على عرقلتها وإفشال بعضها، وفي ظل تلك الأحداث التي عاصرها بعض المؤرخين البيزنطيين مثل المؤرخ نيكيتاس رأينا أخلاق الصليبيين وسجاياهم، وآثرنا أن نعرضها من خلال عيون المؤرخ العربي والبيزنطي على السواء؛ لنرى بعض ملامح العصور الوسطى التي تمثلت في "أخلاق الصليبي" التي كانت تتميز بمشاعر البغض والعداء للآخر أيا كان.